مصطلح الحجاج ومرادفاته الدّلاليّة لدى طه عبد الرّحمن -مقاربة بَيْنِيَّة

The Argumentation term and its semantic synonyms at Taha Abdul Rahman –Interdisciplinary approach-

المؤلف: لزرقي ياقوتة جامعة لونيسي علي -البليدة02-

مخبر: اللّغة العربيّة وآدابها (الصوتيات العربية الحديثة) بكلية الآداب واللغات –بجامعة البليدة02-

إشراف الدّكتور: عمر بوقمرة جامعة حسيبة بن بوعلي –الشّلف-

البريد الالكتروني:LAZROUKI234@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/29 تاريخ القبول:2019/12/02 تاريخ النشر: 2019/12/12

ملخص:

يسعى هذا المقال في جوهره إلى الوقوف على مصطلح مهم من المصطلحات التّداوليّة، ويتعلق الأمر بـ"الحجاج **Argumentation**" لدى الدّكتور طه عبد الرحمان، وهو فيلسوف مغربي اشتغل طويلا على القضايا المنطقيّة واتّخذ من التّحليل اللّغوي آلية لمعالجتها، ولعلّ هذا ما جلب انتباهه أكثر إلى القضايا اللّسانية، وبخاصّة ما تعلّق منها بالتّداوليّة، فكان من بين المفكّرين العرب الأوائل الذين حاولوا التّعريف بالفكر التّداولي وتأصيله في الثّقافة العربيّة.

الكلمات المفتاحية:الحجاج؛ التّداوليّة؛ الاستدلال؛ الإقناع؛ البرهان.

ABSTRACT

This article seeks to examine the term Argumentation when Dr.Taha Abdel Rahman, a Maroccan philosopher who worked on the issues of logic based on linguistic analysis, was among the first Arabe who looked at pragmatic

Keywords: (obligatory :: Argumentation- pragmatic…

1.التعريف بالدّكتور طه عبد الرحمان:

1.1 نشأته:

ولد طه عبد الرحمان في مدينة مغربيّة تدعى جديدة سنة 1944م، تلقى تعليمه في البداية على يد والده الذي ورّثه تكوينا تقليديا أصيلا مكّنه من الاطّلاع على مداخل العلوم الشّرعيّة إلى حين التحاقه بالمدرسة العصريّة، التي تدرّج في أقسامها الابتدائيّة والإعداديّة والثّانويّة، كما حصل على جائزة في الفلسفة والتحق بالمدرسة العليا للأساتذة بجامعة السوربون بفرنسا والتي حصل منها على درجة الدكتوراه سنة 1985م. حيث كان منفتحا على النّظريات المعرفيّة الجديدة بحكم ما تلقّاه من تكوين في فرنسا ممّا أسهم في بلورة أبحاثه[1].

2.1ميوله اللّغوي:

قد يرجع اهتمام طه عبد الرحمان باللّغة إلى ما حصل من تطورات في الفكر والفلسفة الغربيين في القرن العشرين إذ كان من أبرز ما قام به هو الانتقال من التّفكير بواسطة اللّغة إلى التّفكير في اللّغة بحدّ

ذاتها فاتّخذ بذلك من التّحليل اللّغوي أداة مهمّة لحلّ المعضلات الفلسفيّة والمنطقيّة[2]، ويكمن اهتمام طه عبد الرحمان باللّغة "في كونه يؤمن بأنّ اللّغة مؤسسة اجتماعيّة وأنها تشحن خزّانا ثقافيا وقيميا يشكّل مجالها التّداولي الذي تتفاعل بواسطته مع العالم الخارجي"[3].

وعليه فقد كان طه عبد الرّحمان منفتحا على الثّقافة الغربيّة، مواكبا لما يحدث فيها من تطورات، وخاصّة اللّغة التي عرفت بروز جملة من النّظريات المعرفيّة التي غيّرت من نظرة الباحثين وطرق مكاشفتهم لقضاياها.

وكما جاء في العنوان موضوع البحث لدينا هو "المصطلح الحجاجي ومرادفاته الدّلاليّة لدى طه عبد الرّحمان" إلاّ أنّه لا يمكننا الولوج إليه دون الوقوف على المجال أو الحقل التّداولي ككل بوصفه الرّحم المعرفيّة التي تمخّض عنها المصطلح التّداولي بالإضافة إلى أنّنا بصدد الحديث عن جهود واحد من أبرز المفكّرين العرب الذي لا يخفى علينا ما قدّمه في هذا المجال الواسع في صورة بينيّة* تجمع بين الأبحاث المنطقيّة والأسس اللّغوية.

2. المجال المفهومي للتداوليّة لدى طه عبد الرّحمان:

ونذهب في اختيارنا لمصطلح "المجال المفهومي" بدلا من مصطلح "التعريف" إلى ما ذهب إليه خليفة بوجادي على أنّ "التّداوليّة في حدّ ذاتها لا تنحصر في مجال معيّن فتكتسب تعريفا محدّدا، ولكن بتعدّد مجالاتها، وامتداد اهتماماتها، اكتسبت تعدد مفاهيمها ولذلك فإنّ تعبير (المجال المفهومي) سيكون مقاربا بشكل ما لاتساع دلالتها وموحيا، من ناحيّة أخرى بهذا الاتساع والامتداد"[4].

خاصّة وأنه عندما ننظر إلى التّداوليّة عن قرب "ندرك أنّها تمتح من تقاليد شتّى، تضرب بجذور عميقة في البلاغة، وعلم النّفس، وفلسفة القانون، إلى جانب تخصّصات أخرى"[5]، وحتّى عند النّظر في الآليات التداوليّة نجدها نابعة من تيارات مختلفة، فنجد نظرية الأعمال اللّغوية التي نشأت في ضوء الفلسفة التّحليليّة، ونجد نظريّة المحادثة النابعة من فلسفة بول غرايس**Paul Grise**، ونظريّة الملائمة التي تبلورت ضمن علم النّفس المعرفي[6].

وعليه فالتّداوليّة لم تخرج من رحم الأبحاث اللّغوية فقط؛ وإنّما تمتد جذورها في العديد من الحقول المعرفيّة، جامعة لتيارات منحدرة من أوساط علميّة مختلفة ولذلك تعدّ من بين العلوم البينيّة التي تعتمد على أكثر من حقل لحلّ إشكالاتها المعقّدة.

1.2. لغة:

تحدّث طه عبد الرّحمان عن المفهوم اللّغوي لمصطلح التّداولية المأخوذ من الفعل تداول قائلا: "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النّقل والدّوران مستعملان في نطاق اللّغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التّجربة المحسوسة، فيقال نقل الكلام عن

قائله بمعنى رواه عنه، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها... فالنّقل والدّوران يدلان في استخدامهما التّجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين...، فيكون التّداول جامعا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل فمقتضى التّداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل"[7].

وهذا التّعريف اللّغوي الذي قدمه طه عبد الرحمان ليس ببعيد عن التّعريفات الموجودة في المعجمات اللّغويّة* والتي مدار الفعل "تداول" فيها هو التّحول والتّناقل[8].

وقد ورد لفظ "الحجاج في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ في إبْراهيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَالإنْجيلُ إلّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلونَ﴾[9].

وقوله تعالى: ﴿وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَتُحاجّونَني في اللّهِ وَقَدْ هَداني وَلا أَخافُ ما تُشْرِكونَ بِهِ إلّا أَنْ يَشاءَ رَبّي شَيْئًا وَسِعَ رَبّي كُلَّ شيءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرونَ﴾[10].

وقوله أيضا: ﴿وَالّذينَ يُحاجُّونَ في اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجيبَ لَهُ وحُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ﴾[11]

2.2. اصطلاحا:

تحدّث طه عبد الرّحمان عن مصطلح التّداوليّة بصفة مطوّلة وذلك في كتابيه "تجديد المنهج في تقويم التّراث" و"أصول الحوار"، ويقصد به "كلّ المقتضيات العقدية والمعرفيّة واللّغويّة _القريب منها والبعيد_ المشتركة بين المتكلّم والمخاطب والمقومة لاستعمال المتكلّم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه"[12] وهو بذلك "وصف لكلّ ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتّفاعل "[13].

ومما نلاحظه على هذا التّعريف هو طابعه الفلسفي، الأخير الذي يعدّ مجال اشتغال صاحب التّعريف إلا أنّه يلتقي عموما مع جملة من التّعريفات التي قدّمها الباحثون المختصّون حتّى وإن كان تحديد التّداوليّة خاضعا للحقل المعرفي الّذي ينطلق منه صاحب التّعريف، وتبعا لذلك نجد بأنّ:

_ شارل موريس H.morris يجعلها جزءً من السّيمائيّة الّتي تدرس العلاقة بين العلامة ومستخدميها[14].

_ و مِثله الباحثة فرانسوازأرمينيكوF.arminigaud، التي تحدّد موضوع التّداولية على أنّه دراسة استعمال العلامات ضمن السّياق[15].

_وهناك من يرى بأنّ التّداوليّة هي:" علم علاقة العلامة بمؤوّليها، فإنّه من التّمييز الدّقيق للتّداوليّة أن نقول إنّها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات وهذا يعني كل الظّواهر النّفسيّة والاجتماعيّة التي تظهر في توظيف العلامات".

فلو دقّقنا النظر في المصطلحات المستخدمة في هذه التّعريفات نحو: العلامة، والسّيمائيّة، والمؤوّل، علم العلامات، لوجدناها تمثّل المفاتيح الأولى للسيمياءsémiologie، و في المقابل نجد ثلّة أخرى تربطها ربطا مباشرا بالنّظريّة السّياقيّة منهم:

_ مقبول إدريس: يقول:" تعدّ التّداوليّة مبحثا من مباحث الدّراسات اللّسانية التي تطوّرت خلال فترة السّبعينات من القرن العشرين وهي تدرس عمليّة التواصل بيم الأفراد وإنتاجهم لأفعال تواصليّة في مواقف كلاميّة محدّدة[16].

كما لا يفوتنا في هذا المقام التنبيه إلى أنّ طه عبد الرحمان هو من وضع مصطلح التّداوليّة في مقابل المصطلح الأجنبي **Pragmatique**، يقول في ذلك: "إني وضعت هذا المصطلح منذ سنة(1970) في مقابل(Pragmatique) ولو أنّ التّداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللّفظة في العربيّة لفضلوها على لفظة(Pragmatique) لسبب واحد، وهو أنّها توفي بالمقصود من علم التّداول، فلفظة التّداول تفيد في العلم الحديث الممارسة...وتفيد أيضا التّفاعل في التّخاطب"[17].

وقد تبعه في استخدامه لهذا المصطلح جملة من الباحثين منهم: سعيد علوش سنة 1986 في ترجمته لكتاب: المقاربة التّداوليّة لفرانسوازأرمينيكو، وعبد القادر قنيني سنة 2000 في كتاب النص والسياق، وسيف الدين دغموش ومحمد الشيباني سنة 2003 في كتاب التداوليّة اليوم علم جديد، ومنذر عياشي سنة 2007 في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان.

3. **مصطلح الحجاج«Argumentation » لدى طه عبد الرحمان:**

1.3. مصطلح الحجاج في المعجمات اللّغويّة:

ورد في لسان العرب: "حاجَجْتُهُ أُحاجُّهُ حِجَاجاً ومُحاجَجَةً حتّى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجج التّي أدليت بها،... والحجّة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دوفِع به الخصمُ، وقال الأزهريّ: الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة...والتّحاجّ: التّخاصم؛ وجمع الحُجّة حجج وحجاج، وحاجّهُ محاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجّة...واحتجّ بالشّيء: اتّخذه حُجّة"[18]. كما جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس: "يقال: حاججْتُ فلان فحَجَجْتُهُ أي غلبته، وذلك الظّفر يكون عند الخصومة والجمع حُجَجٌ، والمصدر حِجاج"[19].

وعليه فإنّ الحجاج في أصله اللّغوي غالبا مع يدلّ على الاختلاف مع الطّرف الآخر، كما يأتي بمعنى البرهان والجدل.

2.3. مصطلح الحجاج في المعجمات الاصطلاحيّة:

_ **لدى الشّريف الجرجاني:** "الحُجَّة: ما دُلّ به على صحّة الدّعوى، وقيل: الحُجّة والدّليل واحد"[20].

_ **لدى التّهانوي:** لم يختلف التّهانوي عن الشّريف الجرجاني في بيان المعنى الاصطلاحي لمصطلح الحجاج، فقد جعل هو الآخر الحجّة بالضّم مرادف للدّليل[21].

إذن ليس هناك اختلاف بين القدماء في الدّلالة الاصطلاحية للمصطلح _موضوع الدّراسة_ وهو عندهما بمعنى الدليل وهما مترادفان، الأمر الذي سنعمل على بيانه في الصّفحات القادمة وهو الكشف عن

طبيعة العلاقة بين مصطلح الحجاج ومرادفته الدلاليّة. كما قدّم العديد من الباحثين سواء المختصّين أو غيرهم العرب أو الغرب تعريفات مختلفة لمصطلح "الحجاج" لعلّ أهمّها:

_ عند أبي بكر العزاوي: " الحجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، ويتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليّات في الأقوال بعضها هو بمثابة حجج لغويّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[22].

_ عند بيرلمان وزميله: "هو إذعان العقول بالتّصريف لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كلّ حجاج، فأنجح حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقلّ ما تحقّقه الرّغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللّحظة الملائمة"[23].

ومن الملاحظ أنّ هذا التّعريف الأخير_تعريف بيرلمان وزميله_ قد ركّز كثيرا على الإقناع وأولاه مكانة مركزية في العمليّة الحجاجيّة لأنّه الهدف الرّئيسي منها، وعليه "يمكن أن نعدّ اللّغة ذات بعد حجاجي في جميع مستوياتها البنيوية، حيث إنّ المرسل المتكلّم يستعمل الوحدات اللّسانيّة وفق ما يريد تبليغه للمتلقّي من معاني وأفكار وبالقدر الذي يتناسب، ويبني هذه الوحدات وفق الأغراض التواصليّة المتنوعة"[24].

3.3. مصطلح الحجاج عند طه عبد الرّحمان:

يعرّف طه عبد الرّحمان الحجاج قائلا: "كلّما وقفنا على لفظ «الحجاج»، تسارعت إلى أذهاننا دلالته على معنى «التفاعل»، إن تبادلا للتّأثير أو تناقلا للتّغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتّى تجاوبا وجدانيا، تبدو لنا موضوعة على قانونه ومفهومة على مقتضاه، أو قل إنّ الحجاج أصل كلّ تفاعل، كائنا ما كان"[25].

ويعرّفه في موضع آخر قائلا: "وحدّ الحجاج أنّه فعاليّة تداوليّة جدليّة، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخباريّة وتوجيهات ظرفيّة، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأعنى في البنيات البرهانية الضّيقة...وأن يُفهِم المتكلّم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلّم"[26].

ويمكن تلخيص أهم النّقاط التي أشار إليها طه عبد الرّحمان عند تحديده لمصطلح "الحجاج" فيما يأتي:

_ دلالة الحجاج على معنى التّفاعل، الذي يحيل بدوره إلى كل ما هو حَرَكي ومتغير.

_ يقول بأن حد الحجاج هو فعاليّة تداوليّة جدليّة؛ ذلك أنّ الحجاج قائم على مبدأ التّداول اللّغوي بين أطراف العمليّة الحجاجيّة، وفي موضع آخر قام طه عبد الرّحمان بتحديد الشّروط الأساسيّة لهذا التّداول تتمثل في:[27]

- **النُّطقيّة:** وهي أن يتكلّم الطّرف المحاجج بلسان معيّن أي لغة معيّنة، يراعي فيها جميع المستويات اللّسانيّة من صيغ صرفيّة وقواعد نحويّة ودلالات لفظية وكذا أساليب تعبيريّة، وأن يكون الحوار متدرجا ينتقل في ه الأطراف من الإجمال إلى التّفصيل، ومن العموم إلى الخصوص...إلخ.

- **الاجتماعيّة:** وتقوم على مبدأ التّعاون* مع الغير لكشف الحقائق، وذلك عن طريق الاشتراك بين الأطراف في المعتقدات والنّوايا.

- **الإقناعيّة:** والإقناع يكون في إطار تحاوري هادئ بعيد عن أساليب القمع والإكراه، وللمتلقّي حرية تقبّل الرّأي الآخر أو الاعتراض عليه وعرض رأيه هو الآخر.

- **الاعتقاديّة:** بالإضافة إلى الاعتقاد بصحّة رأيه لابد على المحاجج أو المحاور التّسليم بالقضايا الضروريّة البديهية، كما عليه التّأكد من صحة الانتقادات التي يوجهها للطّرف الآخر وعدم قبول رأيه إلا إذا اعتقد صحة وصواب أدلته هو أيضا.

_ أما عن كونه (**جدليا** لأنّ هدفه **إقناعي** قائم على بلوغ التزام صور **استدلاليّة** أوسع وأعنى من البنيات **البرهانيّة** الضّيقة...وأن **يفهم** المتكلّم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها)، فنلاحظ هنا أن طه عبد الرّحمان قد وظّف خمسة مصطلحات مشكّلا منها نسيجا متواشجا ينبئ عن وعي بينيّ عميق، فعلى الرّغم من أنّه فرّق بين هذه المصطلحات ومصطلح الحجاج في أكثر من موضع إلا أنّه ظلّ حريصا على خلق ذلك التّكامل المعرفي بينها؛ لأنّ حتّى وإن كان هناك فروق دلاليّة بين هذه المصطلحات إن لم نقل دقائق دلالية لعدم وضوحها عند الكثيرين الذين يستخدمونها بمعنى واحد إلا أنّ ذلك لا يمنع اجتماعها لتكوّن بنية متعالقة في سبيل إنجاح العمليّة الحجاجيّة ككل. وفي رأينا هذا هو التّحديد الدّقيق للمصطلح _موضوع الدّراسة_ بوصفه تعريفا موجزا وفي نفس الوقت اشتمل على أهم العناصر التي تشكّل البنية أو الحمولة المفهوميّة للمصطلح.

كما أورد طه عبد الرّحمان تحديدا آخر لمصطلح الحجاج مفاده: "هو كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه"، غير أنّ هذا التّحديد أو التّعريف من الممكن أن تؤخذ عليه بعض المآخذ من بينها:

أولا: باستخدامه لكلمة منطوقة أسقط جميع العمليات اللّغويّة المكتوبة، مع أنّه من المعروف أنّ "إسهام النّظريّة الحجاجيّة لا يقتصر فقط على المجالات الإعلاميّة وما يتعلّق بها من إشهار ودعاية وتحريض

وترويج...إلخ. وإنّما يتجاوز ذلك كلّه إلى المجالات التي لا يكون فيها المتكلّم حاضرا بنفسه أو صورته أمام مخاطبه"[28].

ثانيا: استخدم كلمة الإفهام بمعنى الإقناع وهما ليسا متوافقان إلى تلك الدّرجة، ذلك أنّ الحجاج هدفه الأساسي هو الإقناع وليس الإفهام، فالإقناع ممارسة لغوية يستنفذ فيها المخاطب كل إمكاناته اللّغويّة وغير اللّغويّة حتّى يستقرّ لديه أنّ المتلقي قد ترسخ عنده الاعتقاد ذاته، وأما الفهم فهو أقل درجة من الإقناع .

4.3. الحجاج ومرادفاته الدّلاليّة لدى طه عبد الرّحمان:

1.4.3.الحجاج/ الاستدلال:

الاستدلال مأخوذ من "دَلّ عليه، وإليه دَلالةً: أرشد. ويقال: دَلَّهُ على الطّريق ونحوه: شدّده إليه. فهو دالٌ...و(استدلّ) عليه: طلب أن يُدلَّ عليه. وبالشّيء على الشّيء: اتّخذه دليلا عليه...وما يُستدلّ به، ج أدلّة"[29]. وعليه فالاستدلال هو ما اتّخذ كدليل لإقرار قضية معيّنة.

كما تحدّث عنه الشريف الجرجاني في كتاب التّعريفات قائلا: "هو تقرير الدّليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر فيسمّى أنّيا، أو بالعكس فيسمّى لمّيا، أو من أحد الأثرين إلى الآخر"[30]. فالاستدلال عنده هو الاتيان حجّة أو بدليل معين لإثبات دعوى معيّنة.

أمّا عن الاستدلال عند طه عبد الرّحمان فهو لديه أعمّ وأشمل من الحجاج ويظهر ذلك جليا في قوله: "إذا ثبت أنّ الحجاج هو الأصل في الخطاب، ثبت أيضا أنّ العلاقة الاستدلاليّة هي علاقة أصليّة يتفرّع عليها سواها ولا تتفرّع عن سواها؛ فإذا تضمّن الخطاب علاقة تخاطبيّة، فيجب إذن ردّها إلى العلاقة الاستدلاليّة، فالتّوجّه إلى الغير لازم من لوازم الادّعاء، فلا يدّعي إلا من يتوجّه كما أنّ الفهم لازم من لوازم الاعتراض، فلا يعترض إلا من فهم، والشّاهد على ذلك ما يختصّ به اللّسان العربي من استعمال لفظ واحد للدّلالة على معنى (القصد) ومعنى (الاستدلال) معا، وهو بالذّات الفعل حجّ: الذي يفيد (قصد) في قولنا: حج البيت الحرام، كما يفيد (غلبه بالحجّة) في قولنا: حاجّه فحجّه"[31]. وعليه وفإنّ طه عبد الرّحمان قد نظر إلى المصطلحين نظرة تكامليّة دون إهمال تلك الدّقائق الدّلاليّة، وهذا المنهج البيني الذي تبناه من شأنه أن يلغي تلك الفواصل والحدود التي وضعها البعض والتي تحول دون تحقيق ما يعرف بالتّلاقح المعرفي.

فهناك من فرّق بين المصطلحين تفريقا دقيقا يجعل لكلّ منهما استقلالية واضحة شكليا غير أنّه لا يمكن تحقيقها في الواقع اللّغوي، منهم صاحب كتاب الحجاج في القرآن الكريم الذي وضع الفروق المبيّنة في الجدول أدناه:[32]

الاستدلال	الحجاج
_ منطوق صوري غير قابل للّبس قائم على التّحليل	_ حواري قائم على الجدل
_ عقلي يخاطب الإدراك	_ يهدف إلى الإقناع على أسس عقليّة
_ برهنته لا شخصيّة ولا هي ملزمة	_ برهنته موجّهة إلى طرف ما وهي غير ملزمة
_ مجاله اليقينيات	_ مجاله الرّأي والممكن (العرف)
_ حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة	_ الحجج فيه أكثر نسبيا

الشّكل 01: يوضح الفرق بين مصطلحي "الحجاج" و"الاستدلال"

2.4.3.الحجاج/ الإقناع/ البرهان:

1.2.4.3. الإقناع:

ورد في لسان العرب في مادة (ق/ن/ع): "قنع بنفسه قنعا وقناعة: رضيّ؛ ورجل قانع من قوم قُنّع...والمَقنع، بفتح الميم: العدل من الشّهود، يقال: فلان شاهد مَقنعٌ؛ أي رضا يُقنع به...وقال أهل العلم: القُنوع يكون بمعنى الرّضا، والقانع بمعنى الراضي"[33]، فدلالة الاقتناع إذن تدور حول الرّضا والقبول، الأمر الذي يجعله يتخلل كل تفاعل خطابي على اللّغة ومن ذلك نجد الحجاج.

وهناك من يرى بأنّ الحجاج هو غاية المتكلّم "والإبداع يأتي في الدرجة الثّانيّة...والإقناع Persuasion إنّما هو الوجه الغائم للحجاج ومرادفه الآخر، عبر مقولة المواضع المنطقيّة، وقد حاول العديد من الدّارسين وضع الفروق بينهما؛ أي بين الإقناع والحجاج؛ وذلك أنّ الإقناع هو ما به يحاول الإنسان إقناع نفسه، في حين أنّ الحجاج هو ما به يحاول إقناع الآخر"[34]. غير أنّ هناك من أرجع الفرق بينهما إلى طبيعة المتلقي، "فإن كان المتكلّم يخبره بكلام جديد فهو يقنع، أمّا إن كان المتلقي رافضا أو منكرا للكلام، فيتحوّل الخطاب من إقناعي إلى حجاجي، لأنّ المتلقّي متى سلّم بالمقدّمات التي قدّمها المتكلّم فهو مقتنع من طرفه، ومتى ردّها أو رفضها فهو محاجج"[35].

أمّا طه عبد الرّحمان فيشترط في الإقناع البيّنة هي "فيه بمنزلة الدّليل الذي بلغ درجة الوضوح يصير معها المتوسّل به قادر على الظّهور على خصمه، كما لو كان هذا الدّليل الظاهر مستغنيا بظهوره من جانب الاستدلال فيه"[36]. فالإقناع من بين أهم الاستراتيجيات اللّغويّة التي يستخدمها المخاطِب بغية عرض رأي أو

الاعتراض على آخر، ومن هنا "كان الإقناع هو مدار البحث الحجاجي نظرا إلى كونه محدّد المقام والمخاطب والإطار القولي"[37]

2.2.4.3. البرهان Demonstration:

جاء في المعجم الوسيط: "أتى بالبرهان. ويقال برهن عليه. (البرهان): الحجّة الفاصلة البيّنة"[38].فهو إذن يضع الحجاج والبرهان بمنزلة واحدة. ويرى أحد الباحثين أنّه "دراسة الحجاج من تحليل التّقنيات الخطابيّة التي تسمح بإحداث ميل السّامع إلى الأطروحات التي نعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل، وهذا ما يجعل الاختلاف بين الحجاج والبرهنة أمرا من قبيل المسلمات، أمّا البرهنة: فهي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقيّة النتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب، وذلك انطلاقا من المقدّمات المعتبرة صادقة أو محتملة وفي تقابل مع البرهنة التي يمكن أن تتخذ شكل حساب فإنّ الحجاج يُطلب به الإثبات والإقناع"[39].

أمّا البرهان عند طه عبد الرّحمان فحدّه: "هو الاستدلال الذي يعنى بتَرتُّبِ صور العبارات بعضها على بعض بصرف النّظر عن مضامينها واستعمالاتها"[40]. إذن فالبرهان عنده هو ضرب من ضروب الاستدلال.

4. الخاتمة:

وعليه وبناء على ما تقدّم يمكن القول بأنّ طه عبد الرّحمان وعلى الرّغم من حرصه الدّائم على التّفريق بين المصطلحات ورسمه لمعالم الدّقة والوضوح بينها إلا أنّ نظرته التّكامليّة للمعارف وسعيه لإرساء الوعي البيني في الأوساط اللّغويّة المختلفة سرعان ما يدفعه إلى بلورتها في قالب واحد يشكّل بناء معرفيا متواشجا.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1- إبراهيم مشروح، طه عبد الرّحمان قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنميّة الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

2- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

3- بريجيت نرليش ودافيد د .كلارك، التّداوليات قبل أوستين: واقع أم تهيّؤات؟، تر: حافظ إسماعيل علوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، ط1، عمان، 2016م.

4- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009.

5- شّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، لبنان، 1985.

6- صابر الحباشة، التّداولية والحجاج، مداخل نصوص، دار صفحات للدّراسات والنّشر، ط1، دمشق، سوريا، 2008.

7- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني: أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللّغة العربيّة وآدابها، سلسلة دّراسات بينية_6_، جامعة الإمام سعود الإسلامية، 1436هـ.

8- صلاح إسماعيل، نظريّة المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعوديّة،دط، القاهرة،2005م.

9- طه عبد الرحمان، الدالياتوالتّداوليات، البحث اللّساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، ط1، جامعة محمّد الخامس، المغرب، 1984.
10- طه عبد الرّحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 1993م.
11- عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلّة المخبر: أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر،ع: 9، 2013.
12- عبد اللّه صولة، الحجاج في القرآن الكريم: أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفرابي، ط2، لبنان، 2007.
13- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدةط1، بيروت، لبنان، 2004.
- 14- عز الدّين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ع: 12، 2007.1515- عمار عبد المنعم أمين، الدّراسات البينيّة _Interdisciplinaritystudies_ رؤية لتطوير التعليم الجامعي ، نقلا عن: http// www. Pnu_edu_sa/ar/vice Rectorates NGS/news activities/ news/ documents/news11_11_pdf

16- عمر بوقمرة، الأفق الحجاجي في نظريّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2017.
17-ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1991،
18- فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، دط، 1986م.
19-أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.
20- محمد سالم ولد محمد أمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، مج:28، ع:3، 2000.
21- محمد علي التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1996.
22-مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005،
23- معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشّروق الدّوليّة،ط4، القاهرة، 2004، ع1_2،.
24- مقبول إدريس، التّداوليّة عند سيبويه، مجلّة عالم الفكر، ع3، 2004م.
.) programmes d'études et éducation permanente(1979:L'unesco_25
26- Louis D'hainaut, L'interdisciplinarité dans l'enseignement général,colloque international sur l'interdisciplinarité dans l'enseignement général organisé à la maison de L'unesco au 1er au 5 juillet 1985, edunesco, 1986.
.charlesmoris, fondements des théories des signes, in languag,_n°35, 1974_27

الهوامش:

[1]- ينظر: إبراهيم مشروح، طه عبد الرّحمان قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنميّة الفكر الإسلامي،ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص28.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص60.

[3]- المرجع نفسه، ص72.

*- البينية من بين المستجدّات اللغويّة التي تحيل على علاقة التّفاعل والتّكامل بين حقلين أو أكثر من الحقول المعرفيّة، فهي نوع من التّعاون بين التّخصّصات المختلفة أمام المشكلات المعقّدة والتي يتطلّب حلّها شيئا من الاندماج المعرفي.

ويرتبط بهذا المصطلح _Interdisciplinarité _ ثلاث دلالات مختلفة:

أولها: دلالة تعدّد المعارف: وهو تكريس أكثر من حقل معرفي لخدمة موضوع أو قضيّة معيّنة مع احتفاظ كلّ حقل بخصوصيته المنهجيّة ومنظومته المصطلحيّة بهدف تقريب وجهات النّظر والخروج بتصور اندماجي للمعرفة العلمية.

ثانيها: دلالة ما بين المجالات المعرفيّة: وتقتضي ما يعرف بالتّلاقح المعرفي سعيا لبناء شبكة معرفيّة تتقاطع فيها جملة من التّخصّصات.

ثالثها: دلالة التّعالي التّخصّصي: وهي تلك المعرفة التي تقرّ بأسبقيّة مفهوم النّظام الجامع بين العلوم والمعارف، دون اهتمام بالحدود الفاصلة بينها، فنجدها تبحث في موضوع معيّن بالاعتماد على تخصّصات مجاورة وأخرى خارجة عن نطاقه.

وعليه فقد حدّدت الدّراسات البينيّة بأنّها:" دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من الحقول المعرفة الرّائدة، أو العمليّة التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جدّا أو معقّد جدّا يصعب التّعامل معه بشكل كاف عن طريق نظام أو تخصّص واحد". ينظر: صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني: أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللّغة العربيّة وآدابها، سلسلة دّراسات بينية_6_، جامعة الإمام سعود الإسلامية، 1436هـ، ص13_14. وينظر:

Louis D'hainaut, L'interdisciplinarité dans l'enseignement général,colloque international sur l'interdisciplinarité _ dans l'enseignement général organisé à la maison de L'unesco au 1er au 5 juillet 1985, edunesco, 1986, p programmes d'études et éducation permanente(1979,p 353_ 369):L'unesco.07 .

وينظر: عمار عبد المنعم أمين، الدّراسات البينيّة _Interdisciplinaritystudies_ رؤية لتطوير التعليم الجامعي، ص 02، نقلا عن:

http// www. Pnu_edu_sa/ar/vice Rectorates NGS/news activities/ news/ documents/news11_11_pdf

[4]- خليفة بوجادي، التفكير اللّغوي التّداولي عند العرب_ مصادره ومجالاته، جامعة سطيف 2، الجزائر، ص4.

[5]- بريجيت نرليش ودافيد د .كلارك، التّداوليات قبل أوستين: واقع أم تهيّؤات؟، تر: حافظ إسماعيل علوي، تساؤلات التّداوليات وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع،ط1، عمان، 2016م، ص09.

[6]- ينظر : مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص17، وينظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر، 2009، ص63.

[7]- طه عبد الرّحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي،ط2، الدار البيضاء، 1993م، ص244

*- جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس في باب الدال والواو والام أنّ: "الدال والواو واللّام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان والآخر يدلّ على ضعفٍ واسترخاء فأمّا الأول فمنه تداول القوم الشّيء بينهم إذا صار بعضهم إلى بعض"[7]، وجاء أيضا في لسان العرب لابن منظور: " دالت الأيام أي دارت واللّه يداولها بين الناس"[7]، وعليه فإنّ معنى الأصل "دول" لا يكاد يخرج عن معنى التبادل والتّناقل.

[8]- ينظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1991، ج2، ص314، وينظر: أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص139.

[9]- سورة آل عمران، الآية 65.

[10]- سورة الأنعام، الآية 80.

[11]- سورة الشّورى، الآية 16.

[12]- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص28.

[13]- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص244.

[14]_charlesmoris, fondements des théories des signes, in languag,_n°35, 1974 p19.

[15]_ فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، 1986م ص08.

[16]_ ينظر: مقبول إدريس، التّداوليّة عند سيبويه، مجلّة عالم الفكر، ع3، 2004م، ص245.

[17]- طه عبد الرحمان، الدالياتوالتّداوليات، البحث اللّساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، ط1، جامعة محمّد الخامس، المغرب، 1984، ص299.

[18]- لسان العرب، ص779.

[19]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، مادة (ح/ج/ج)، ص 3029.

[20]- الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، لبنان، 1985، ص82.

[21]- ينظر : محمد علي التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون،ط1، بيروت، لبنان، 1996، ج1 أ_ش، ص222.

[22]- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، ص24.

[23]- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة،ط1، 2004، ص445.

[24]- عمر بوقمرة، الأفق الحجاجي في نظريّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 2017، ص99.

[25]- طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان والتّكوثر العقلي، ص229.

[26]- طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار، ص65.

*- **مبدأ التّعاون:** هو مبدأ أقرّه غرايس يكون بين المتكلّم والمخاطب بغية تحقيق الهدف المرجو من للخطاب وقد يكون هذا الهدف محدّدا قبل دخولهما في عمليّة التّخاطب أو يحصا تحديده أثناء هذه العمليّة، وقد وسّع غرايس مبدأ التّعاون إلى مجموعة من القواعد وُسمت بالقواعد التّخاطبيّةMaximes conversational وهي:

1_ مبدأ الكم quantity: وتحتوي على قاعدتين:

_ أن تكون مساهمتك على قدر المعلومات المطلوبة منك، وفق أهداف التّبادل الحواري الراهن،

_ أن لا تتوفر مساهمتك على أكثر مما هو مطلوب منك.

2_ مقولة الكيف quality: صدق مساهمتك بأن:

_ لا تقل ما تعتقد أنه كاذب،

_ لا تقل ما تفتقر فيه إلى دليل.

3_ مقولة الإضافة والملائمة Relation: بجعل مساهمتك في الحوار المتبادل واردة.

4_ مقولة الصّيغة أو الجملة Manner: بالتّركيز على الوضوح عن طريق:

_ الابتعاد عن الإبهام

_ تجنب الغموض

_ الإيجاز_ المنهجية والتنظيم. ينظر: صلاح إسماعيل، نظريّة المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعوديّة، القاهرة،2005م ص87-88.

[27]- ينظر: طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار، ص37_38.

[28]- محمد سالم ولد محمد أمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، مج:28، ع:3، 2000، ص57.

[29]- المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط4، القاهرة، 2004، ع1_2، ص53.

[30]- الشّريف الجرجاني، التّعريفات، ص24.

[31]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار، ص226.

[32]- ينظر : عبد اللّه صولة، الحجاج في القرآن الكريم: أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفرابي،ط2، لبنان، 2007، ص31.

[33]- ابن منظور، لسان العرب، ص3753.

[34]- عز الدّين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ع: 12، 2007، ص171.

[35]_ عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلّة المخبر: أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع: 9، 2013، ص275.

[36]- طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان والتّكوثر العقلي، ص136.

[37]- محمد سالم ولد محمد أمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص67.

[38]- المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ع : 2-3، ص294.

[39]- صابر الحباشة، التّداولية والحجاج، مداخل نصوص، دار صفحات للدّراسات والنّشر،ط1، دمشق، سوريا، 2008، ص68.

[40]- طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان، ص226.